﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥﴾

[الشعراء: 112 - 115]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

ردُّ نـوحٍ عليه السلام على استخفاف المستكبرين بأتباعه

بعد أن أنكر المُستكبرون على الذين آمنوا أعمالهم، وذهب أشرافهم إلى الانتقاص من أتباع نوحٍ عليه السلام، وقالوا عنهم: ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾ [الشعراء: 111]، باعتبارهم كانوا يمتهنون الحياكة والحجامة، أي: ما يُسمّونهم بأهل الصنائع الخسيسة[1]؛ ناسب أن يردَّ بقوله: ﴿وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، بمعنى: وما شأني بهذه الأعمال، فحسابُهم سيكون على الإيمان وصِدْقِه، لا على ما كانوا يمتهنون، حالُهم بذلك كحال النّاس جميعًا، وما حسابهم إلّا على الله سبحانه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حِسَابُهُمۡ﴾: (حسب) أُصولٌ أَرْبَعَةٌ، فالأَوَّلُ: العَدُّ، تَقولُ: حَسَبْتُ الشَّيْءَ أَحْسُبُهُ حَسْبًا وحُسْبانًا، والثّاني: الكِفايَةُ، والثّالِثُ: الحُسْبانُ، والرّابِعُ: الأَحْسَبُ الَّذي ابْيَضَّتْ جِلْدَتُهُ مِنْ داءٍ ففَسَدَتْ شَعَرَتُهُ، كَأَنَّهُ أَبْرَصُ[2]، والمعنى المحوريُّ: جمعُ ما هو منتشرٌ في حيّز يضمُّهُ حتى يمتلئ به، كما يُجمَع الثُّمام الجاف ونحوه، فتُحشى به الوسادة، وكما يمتلئ بطنُ مَن أحسِب طعامًا وشرابًا، وكما يمتلئ بدن الإبل الموصوفة[3]، والحساب: الجزاء، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ

(1) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 237.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسب).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (حسب).

عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: 26]، أي: جزاؤهم، والحساب: المحاسبة، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: 8][1]، والحساب: الأَجر والثّواب[2]، والمعنى في الآية: أنَّ الله هو الذي يتولّى معاملتهم بما أسلفوا وما يعملون، وبحقائق أعمالهم[3].

2) ﴿بِطَارِدِ﴾: أصلُ (طرد) يدلُّ على إبعادٍ[4]، والمعنى المحوري للطَّرد: إبعادٌ عن الحيّز بدفع قَويٍّ من الخلف: زَجْرٍ أو نحوه[5]، والطَّرْدُ: هو الإزعاج والإبعاد على سبيل الاستخفاف[6]، وهو أيضًا: مطاردةُ الصَّيد، أيّ: علاج أَخْذِهِ[7]، والمُراد به في الآية: الأمرُ بالبُعدِ عن مكانِ الحُضورِ تحقيرًا أو زَجْرًا[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

دأبُ الأنبياءِ موالاةُ المؤمنينَ والقُرْبُ منهم

قال نوحٌ لِقَومِه: وما عِلمي بما كان يعمَلُ أَتْباعي؟ إنَّما لي منهم ظاهرُ أمرهم دون باطنه، فمَنْ أظهر الحُسْن؛ ظننتُ به حُسنًا، ومن أظهر السّوء؛ ظننتُ به ذلك، فأنا لم أُكلَّف العِلمَ بأعمالِهم وأحوالِهم الدّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ، وإنَّما أمَرني اللهُ أنْ أدعوَهم إلى الإيمان، وأقبَلَ منهم إقرارَهم وتَصديقَهم وانقيادَهم، وأكتفيَ بذلك دونَ النَّظَرِ إلى بواطِنِهم وحِرَفِهم وصَنائِعِهم، ما حِسابُ أَتْباعي إلّا على ربّي، فهو الَّذي يعلَمُ السِّرَّ والعلانيةَ، وليس علَيَّ مَعرفةُ أعمالِهم وبواطِنِهم، وإنَّما علَيَّ التَّبليغُ، ولو كنتُم تَعلَمون أنَّ حِسابَهم على اللهِ وحْدَه، وتَشعُرونَ بالأمرِ على حقيقتِه؛ لَما عِبتُموهم، ولم تَسْألوني عنهم، فإنْ

(1) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 276.
(2) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 2/ 460.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 161.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طرد).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (طرد).
(6) ابن دريد، جمهرة اللغة، والراغب، المُفرَدات: (طرد).
(7) الخليل، العين: (طرد).
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 55.

كان ما جئتُكم به هو الحق؛ فاتَّبِعوه، وما أنا بطاردٍ مَنْ آمن باللّه، واتَّبعني، وصدَّق بما جئتُ به من عند اللّه، ما بعَثَني اللّهُ إلّا نذيرًا أوضِّحُ إنذارَه لكم جميعًا؛ غنيِّكم وفَقيرِكم، شريفِكم ووضيعِكم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ فصْلِ الآيةِ عمّا سبقها:

الرَّسولُ ما عليه إلّا البلاغُ، ولا يُسأل عن أعمال أتباعِهِ

قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ فُصِلَت عن سابقتها؛ لأنَّها جوابٌ لسؤال سبقها، هو قولُهُ تعالى: ﴿*قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾ [الشّعراء: 111]، فيكون سببُ الفصل كمالَ الاتِّصال بين الآيتَيْن؛ لاتِّفاق الجملتَيْن إنشاءً؛ فكِلْتا الجملتَيْن استفهامٌ، ثمَّ إنَّ الجملة الثّانية هي بمنزلة عطفِ بيان من الجملة الأولى، في كونها وضَّحت عدم علمه ﷺ بما قالوه عن أتباعه، وما كانوا يعملونه، فقال: ﴿وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

إيثارُ التَّعبيرِ بفعل القول مادَّةً وصيغةً:

الاهتمامُ الكبيرُ بما قاله نوح ﷺ

تُستخدم أفعالُ القول في سياق ذِكْر أنَّ فلانًا قال ما سيأتي، وفعلُ القول من فوائدهِ ربْطُ السَّردِ بالحوار، والتَّصريح بالقول دليلٌ على العناية الصّادقة بالشَّيءِ[2]، فهو كالنَّص المنقول تمامًا؛ إذ يُعلم أنَّ نوحًا ﷺ قال هذا القول بحذافيره.

دلالةُ الواوِ ومعناه في: ﴿وَمَا عِلۡمِي﴾:

مبادرةُ نوح ﷺ بالجواب السَّريع على قول المعاندين من قومه

جواب نوح ﷺ على كلام قومه، واقتران أوَّله بالواو في قوله: ﴿وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ يجعله في حُكم المعطوفِ على كلام قومهِ؛ تنبيهًا على اتِّصاله بكلامهم، وذلك كنايةٌ عن مبادرته بالجواب، كما في طلب إبراهيم من ربِّه، بعد أن قال له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 603، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 151، والمراغي، تفسير المراغي: 19/ 83.

(2) الرّاغب، المفردات، ص: 688.

﴿إِمَامًا قَالَ﴾ [البقرة: 124]، فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: 124]، بمعنى: واجعل لي من ذرّيّتي للنّاس إمامًا، ويُسمَّى هذا العطفُ عطْفَ التَّلقين أو التَّكميل؛ لمقامهِ في النَّصِّ[1].

معنى (ما) ودلالتها في قوله: ﴿وَمَا عِلْمِي﴾:

قـلّـةُ الاعـتـنـاءِ بالمُستفهَم عنه أو نفيٌ له

في قوله: ﴿وَمَا عِلْمِي﴾، (ما): استفهاميَّة، والمعنى استفهام مُؤذِنٌ بأنَّ قومَهُ فصَّلوا في ذِكْر أوصاف أتباعِ نوح عليه السلام من الذين آمنوا، فذكَّروهم بالأرذلين، ثم بيَّنوا أوصافًا من أحوال أهل الحاجة الذين لا يعبأ النّاس بهم، فأتى بالاستفهام عن علمهِ استفهامًا مُستعمَلًا في قلَّة الاعتناء بالمُستفهَم عنه[2]، وقال الحوفيُّ والطَّبرسيُّ: نافية، وعليه يكون في الكلام حذفٌ، أي: وما علمي بما كانوا يعملون ثابتٌ أو حاصلٌ[3].

المُراد بالعلم في قوله: ﴿عِلْمِي﴾ ودلالته:

العلم بالظّواهر واجـتـنـاب ما خفي من أسرار النّاس

أمّا العلم في قوله: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي﴾؛ فالمعنى: ما وظيفتي إلّا اعتبار الظّواهر وبناء الأحكام عليها دون التَّجسُّس والتَّفتيش عن البواطن[4]، فالعِلم هو المعرفة الظّاهرة للنّاس، دون البحث عمّا خفي في أسرارهم، والكشف عن نيّاتهم، وفي الآية بمعنى: اهتمامي وانشغالي.

سرُّ إضافةِ العِلْم إلى المتكلِّم ﴿عِلْمِي﴾:

نفيُ السّوءِ عن نفسهِ وأتباعِهِ

دلَّت تلك الإضافة على العلم الذي يملكه القائل، وهو نبيُّ الله - نوح عليه السلام - مخاطبًا به قومه الذين اعترضوا على أتباعه، فبرَّأ نفسَهُ ودعوته من أيِّ سوءٍ يمكن أنْ يُصيبَهُ، أو يصيبَ دعوته بهذا الإنكار؛ إذ لا علم له بأيِّ سوءٍ طارئٍ على دعوته، ومَنْ أراد الإيمان بالله؛ فلا يضرُّهُ مَن أساء العمل والتَّصرُّف من المؤمنين.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 160.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 160.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 105.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 105.

معنى كلٍّ من (الباء) و(ما) في قوله: ﴿بِمَا﴾:

مـدى اهتـمام نـوحٍ عليه السلام وانـشـغـالـه بأعمال الآخرين

في قوله: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، ضُمِّن ﴿عِلْمِي﴾ معنى: اشتغالي واهتمامي، فعُدّي بالباء[1]، قال الزَّمخشريُّ: "إذا عُدّي بالباء؛ معناه الأخذ والاستصحاب"[2]، والمعنى الرَّئيس للباء هو الإلصاق، وما ذُكِرَ له من معانٍ أخرى تحمل هذا المعنى، قال سيبويهِ: "وباء الجرِّ إنَّما هي للإلزاق والاختلاط"[3]، فهي هُنا للإلصاق والاستصحاب.

أمّا (ما)؛ فيُحتمل أن تكونَ اسمَ موصول بمعنى: (الذي)، وغرضُ التَّعريف بالاسم الموصول هُنا (الإبهام)؛ لأنَّ نوحًا عليه السلام كان يريد إبهام الأعمال عن السّامعين، وتقع على ذوات ما لا يعقل، وهي هُنا من قبيل الثّاني.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل الماضي (كان):

شـمـولُ نـفـي عِـلـمِهِ بجميع أحـوال الـذيـن آمنوا

قد تَرِدُ (كان) زائدةً، كقوله تعالى: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، أيْ: (بما يعملون)؛ لأنَّه قد كان عالمًا ما علموه من إيمانِهم به[4]، فجاءت للتَّأكيد[5]، أيْ: تأكيد مدلول: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، والمعنى: (أيُّ شيءٍ علمي بما يعملون)، فشمل قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ جميعَ أحوالهم في دينهم ودنياهم في الماضي والحال والمستقبل والظّاهر والباطن[6].

مرجعُ الضَّميرِ في ﴿كَانُواْ﴾ ودلالته:

الـحـديـثُ عن المؤمنين برسالة نوح عليه السلام

مرجع الضَّمير في قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ إلى الذين آمنوا من المستضعفين، الذين قال عنهم أكابرُ القومِ: إنَّهم الأرذلون،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 161.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/ 388.
(3) سيبويه، الكتاب: 2/ 304.
(4) الزّركشيّ، البرهان: 4/ 311.
(5) السّيوطيّ، الإتقان: 2/ 257، ومعترك الأقران: 2/ 246.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 161.

ووصفوهم بأوصاف تنمُّ على رعونةٍ وكِبْرٍ، فأنكرَ نوحٌ ﷺ على المُعاندين كلامَهم على المستضعفين من الذين آمنوا.

إيثارُ التعبيرِ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَعْمَلُونَ﴾:

عـــدمُ وقـــوعِ الأعـــمـــالِ غيرِ الجيّدةِ منهم

في قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾؛ دلَّ المضارعُ هنا على الماضي من الزَّمان، ولا يصحُّ إبدالُ الفعل الماضي هنا بالمضارع ﴿يَعْمَلُونَ﴾؛ إذ أفاد الفعل المضارع هنا عدمَ الحصول، ولو كان في صيغة الماضي؛ لتغيَّرَ المعنى، فلو قال: (وما علمي بما كانوا قد عملوا)، أو (وما علمي بما عملوا)؛ لأثبت أنَّهم قاموا بالأعمال التي استحقّوا عليها وصفَ الأرذليَّة، ولكنَّ قوله: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ لم يُثبت عليهم تلك الأعمال، بل رجَّح عدمَ المعرفة والعلم بوقوعها أصلًا.

التَّوجيهُ البلاغيُّ في الآية:

صـرفُ الأذهـانِ عـمّـا لا يـضـرُّ قضيَّةَ الإيمان

يحتملُ أن يكون قولُ نوحٍ ﷺ: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من قبيل أسلوب الحكيم، قال الآلوسي: "ولو جُعِلَ هذا نوعًا من الأسلوب الحكيم لم يبعد عندي، وفيه من لطف الرَّدِّ عليهم، وتقبيح ما هم عليه ما لا يخفى"[1]، وفائدته هُنا صرْفُهم عمّا لا يضرُّ قضيَّة الإيمان، فهو أمرٌ لا يهمُّ الرَّسول؛ مهما كانت مهنهم وصنائعهم، فإنَّهم إنَّما يُحمدون على إيمانهم.

يحتمل أن يكونَ كنايةً

ويحتمل أن يكون كنايةً عن قلَّة جدواه؛ لأنَّ الاستفهام عن الشَّيء يُؤذِن بالجَهل به، والجَهل تُلازمه قلَّةُ العناية بالمجهول وضعفُ شأنه[2].

ويـحـتـمـل أن يكون توريةً

وإمّا أن يكون توريةً: "فَهُم قد قصدوا فقرهم وحالهم، وأعمالهم التي يقتاتون منها، تلك التي لا يمتهنها إلّا بُسطاء النّاس، وقَصَدَ هو إخلاصهم في دينهم، فيكون قوله: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾،

(1) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 106.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 160.

المعنى القريب: ما يقصدونه من رذالة حالهم، وفقرهم، وضعفِ رأيهم، والمعنى البعيد: ما يقصده ﷻ هو عدم استحقاقهم الإيمانَ؛ لفساد أعمالهم وقلوبهم، فقوله: ﴿وَمَا عِلْمِى﴾، بمعنى: (وأيُّ شيءٍ علمي؟) والمُراد: انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم لله واطِّلاعه على سرِّ أمرهم وباطنه[1].

وخلاصةُ ذلك ما ذكره الآلوسيُّ في جواز أن يُقال: إنَّهم لمّا قالوا: ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء: 111]، وعنوا الذين لا نصيب لهم من الدُّنيا، أو الذين اتَّضَعَت أنسابهم، أو كانوا من أهل الصَّنائع الدَّنيئة؛ تغافل ﷻ عن مُرادهم، وخَيَّلَ لهم أنَّهم عنوا بالأرذلين مَن لا إخلاص له في العمل، ولم يؤمن عن نظر وبصيرة، فأجابهم بما ذكر، كأنَّه ما عرف من الأَرْذَلين إلّا ذلك[2].

غرضُ حذفِ مُتعلَّق الفعل ﴿يَعْمَلُونَ﴾:

يظهر من الآية أنَّ مُرادَ قومِ نوحٍ بنسبة الرذيلة إلى المؤمنين تهجينُ أفعالهم لا النظر في صنائعهم، يدلُّ على ذلك قول نوح: ﴿وَمَا عِلْمِى﴾ الآية؛ لأنَّ معنى كلامِهِ: (ليس في نظري وعلمي بأعمالِهم ومعتقداتهم فائدة، إنَّما أقتنع بظاهرهم، وأجتزئ به، ثمَّ حسابهم على الله تعالى)[3]، فمتعلَّقُ الفعل ﴿يَعْمَلُونَ﴾ أخفاه القرآن؛ لأنَّ الرَّسولَ قصد مدح الذين اتَّبعوه بالإيمان، وأعرض عن ذِكْر ما أتى به المتكبِّرون من قومه، الذين كفروا، وأعرضوا بوصف المؤمنين بالأرذليَّة.

مـدحُ المؤمنين بـإيـمـانِـهـم، والإعـراض عمّا كان قبل الإيمان

بلاغةُ الفصلِ في قوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾:

كمال الانقطاع بين الجملتَيْن: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ و﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ﴾؛ وذلك للاختلاف في

جـمـيـعُ الـنّـاس سيُحاسَبون يومَ القيامة

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 329.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 106.
(3) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 237.

الخبريَّة والإنشائيَّة، وفي اللَّفظ، وفي المعنى، وفائدة تتابع الجملتَيْن هنا الإنكارُ على قول أهل الكِبْر والإعراض، وبيان أنَّ الحساب على ربِّ العالمين لجميع البشرِ، وأنتم منهم.

دلالةُ النَّفي بـ ﴿إِنْ﴾:

المَثَلُ القرآنيُّ الذي عُلِم منه حساب النّاس جميعًا يوم القيامة

في قوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾؛ (إنْ) تدخل على الجمل الاسميَّة والفعليَّة مثل (ما)، فإن دخلت على الجملة الاسميَّة؛ كان ذلك لنفي الحال[1]، وقيل: هي لنفي الحال عند الإطلاق، وإن قُيِّدت؛ كانت بحسب ذلك القيد، فقد تكون للحقيقة غير مقيَّدة بزمنٍ، فقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾، جعل محاسبتهم على ما يعملون ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾، فاعتبار البواطن من شؤونه ﷻ وهو المُطَّلع عليها ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾، أي: بشيءٍ من الأشياء، أو لو كنتم من أهل الشُّعور؛ لعلمتم ذلك، لكنَّكم لستم كذلك؛ فلذا قلتم ما قلتم[2]، فدلَّ على عدم التَّقيُّد بالزَّمن، فيكون ذلك بمنزلة مَثَلٍ يمكن استعارته في المواقف المُماثلة في كلِّ وقتٍ وحينٍ، غير مقيَّدَيْن بزمنٍ، وهذا ما يجعل العبارة استعارةً تمثيليَّةً.

غرضُ التَّعبير بالاسميَّة في ﴿حِسَابُهُمْ﴾:

أمرُ الحسابِ يومَ القيامةِ قضيَّةٌ يعتقدها كلُّ مؤمن

في قوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾، الجملة الاسمية تُفيد الثَّبات، فحسابهم كائنٌ لا محالة، وحسابهم على الله، فهو مَن يَعُدُّ عليهم أعمالهم التي يعملون، فدلَّ ذلك على عدم الحاجة إلى متابعتهم، وعدِّ أخطائهم، وأعمالهم عليهم، وهذا حال كلِّ إنسانٍ، وما أنتم بخير منهم، وقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ عاد الضمير على المؤمنين الذين اتُّهموا بأنَّهم الأرذلون عند القوم، والمعنى أنَّ حسابَهم على الله تعالى، كحساب جميع النّاس، فإنَّه سيحاسبكم كما يحاسبهم، فاستحقَّ أن يكون قولُهُ: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾

(1) الزّمخشريّ، المُفصّل: 2/ 200.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 105.

بمنزلة المَثَل القرآنيِّ الذي قاله نوحٌ ﷺ أوَّلًا؛ ثمَّ تابعه بذِكْره مِن بعدِهِ من الرُّسل والدُّعاة، فكان بمنزلة الاستعارة التَّمثيلية.

بلاغةُ أسلوبِ القصرِ في الآية:

براءةُ النَّبي نفسه من حساب النّاس

القصرُ في قوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ قصرُ موصوفٍ على الصِّفة، والموصوف هو ﴿حِسَابُهُمْ﴾، والصِّفة هي ﴿عَلَىٰ رَبِّي﴾؛ لأنَّ المجرورَ الخبرَ في قوَّة الوصف، فإنَّ المجروراتِ والظُّروفَ الواقعة أخبارًا تتضمَّن معنًى يتَّصف به المبتدأ، وهو الحُصول والثُّبوت المُقدَّر في الكلام بكائنٍ أو مستقرٍّ، كما بيَّنه علماء النَّحوِ، والتَّقدير: حسابهم مقصورٌ على الاتِّصاف بمدلول ﴿عَلَىٰ رَبِّي﴾، وكذلك قدَّره السَّكاكيُّ والتَّفتازانيُّ[1]، وهو قصر إفراد إضافيٍّ، أي: لا يتجاوز الكون على ربي إلى الاتِّصاف بكونه عليَّ، وهو ردٌّ لما تضمنه كلام قومه من مطالبته بإبعاد الذين آمنوا؛ لأنَّهم لا يستحقون أن يكونوا مساوين لهم في الإيمان[2]؛ لاختلافهم في المكانة والمنزلة.

إيثارُ التَّعبيرِ بلفظ الرُّبوبيَّة:

المُربّي هو الذي سيُحاسِب العبادَ على أعمالهم

في قوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾؛ ناسبَ هنا ذِكْر الرُّبوبيَّة؛ لأنَّ الرَّبَّ هو المُربّي، والرَّبُّ هو الذي يُربي غيرَه، ويُنشئه شيئًا فشيئًا، ويُطْلَقُ على المالِك والسَّيِّد والمُدَبِّرِ والمُرَبِّي والقيِّم والمُنْعِم، والله سبحانه هو الرَّبُّ المُتكفِّل بالخلائق أجمعين: إيجادًا وإمدادًا ورعايةً وقيامًا على كلِّ نفسٍ بما كسبَتْ، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرَّعد: 33]، فلمّا قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء: 111]؛ احتاج لذلك أن يذكر المُربّي لهم، فقال: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾.

(1) التفتازاني، مختصر المعاني، ص: 95.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 162.

سرُّ إضافةِ الرَّبِّ في ﴿رَبِّيٓ﴾، وفيها معنى التَّورية:

مقاصدُ الإيمانِ تستشعرها أصحابُ القلوبِ الحيَّةِ

إضافةُ الرَّبِّ إلى ياء المتكلِّم، وهو رسولُ اللهِ نوح ﷺ في قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيٓ﴾؛ ليدلَّ على (أنَّ الرَّبَّ الذي سيحاسبهم هو الرَّبُّ الذي هداني، وأمرني بالرِّسالة، وما دام أنَّ هؤلاءِ قد آمنوا بالرِّسالة نفسِها؛ فإنَّ الذي سيُحاسبهم هو ربّي)، وفيها معنى الرَّحمة بالذين آمنوا دون العذابِ والانتقام، وفي هذا وجهٌ من معاني التَّورية؛ لأنَّ المقصودَ رحمةٌ بِهم، ولكن أولئك سيتصوَّرون عذابهم والتَّنكيل بهم، وقرينة ذلك قوله: ﴿لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾، فإنَّ عدمَ شعورِهم ينمُّ على عدم فهمهم لفلسفة الإيمان، وأنَّه لا يُقاس بالمظاهر، وأنَّ حسابَ الله لهم سيكون على مدى صِدْقِهم وإخلاصِهم، وذلك لا يُقاس بالمظاهر.

مفهومُ الحرفِ ﴿لَوۡ﴾ ودلالته المجازيَّة:

التَّحسُّرُ على حالِ المُعارضين المُستكبرين

قوله: ﴿لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾؛ إذ تُستعمل (لو) للتَّمنّي، وحُكم استعمالها في التَّمنّي تابعٌ لنوع التَّمنّي: إن كان خيرًا؛ فخيرٌ، وإن كان شرًّا؛ فشرٌّ، وخرج التَّمنّي هنا إلى معنى التَّحسُّر على حال هؤلاء المُعارضين المُستكبرين؛ لِما أصابهم من الغرور الذي حال بينهم وبين الشُّعور الذّاتيِّ والتَّفكير بالأمور على وجه الصَّواب.

إيثارُ التَّعبيرِ بالشُّعور في ﴿لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾:

الكفّارُ أجهلُ من الدّوابِّ

قال: ﴿تَشۡعُرُونَ﴾ دون (تعلمون) أو نحو ذلك، فخاطبَ بذلك دواخلَهم، وأرادَ من كلِّ واحدٍ منهم أن يُفكِّر بنفسهِ بعيدًا عن الرَّأي والعقل الجمعيِّ؛ لأنَّ الشُّعور لا يكون إلّا من الفردِ الواحد منعزلًا عن الجماعة، التي تُحرِّكه، وتأمُرُهُ، وتُؤثِّر عليه تأثيرًا مباشرًا.

الشُّعورُ يحتمل أن يكون بمعنى العقلِ

ويمكنُ أن يكون الشُّعور هنا بمعنى العقلِ الذي يتفكَّر، ويتدبَّر بهِ، فهو هنا مجازٌ، فقوله: ﴿لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾، أي: لو كان لكم حصانةٌ فكريَّة وقدرة عقليَّة واعية؛ لعلمتم ذلك، فلم تقولوا ما قلتم ممّا هو دائرٌ

على أمور الدُّنيا فقط، ولا نظر له إلى يوم الحساب[1]، فقوله: ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ تجهيلٌ لهم، ورغمٌ لغرورهم وإعجابهم بالباطل، فناسب أن يأتي التَّجهيل بالكافرين فائدة مقابلة تجهيلهم بالمؤمنين، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوفٌ دلَّ عليه ما قبلَه، والتَّقدير: (لو تشعرون؛ لشَعَرْتُم بأنَّ حسابَهم على الله لا عليَّ)، ودَلَّ على أنَّه جهَّلَهم قولُه: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [هود: 29].

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارع ﴿تَشْعُرُونَ﴾:

الحثُّ على تجديد الشُّعور والنَّظر والتَّفكُّر

أفاد الفعل المضارع ﴿تَشْعُرُونَ﴾ تجدُّدَ الدَّعوة إلى شعورهم ودواخلهم، فهو خطابٌ لتحريك نفوسِهم، لكنَّ ما حدث هو العكسُ، فعلى مدى مئات السِّنين ونوح ﷺ يدعوهم، ويُجدِّد خطابه لهم، ولكن لم تستجب دواخلهم إلى نداء الحقِّ، وإلى معرفة الحقيقة.

دلالةُ العطفِ في قوله: ﴿وَمَآ أَنَا﴾:

إكرامُ المؤمنين بأمرَيْن

عُطِف قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على قوله: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ فبعد أنْ أبطَلَ مقتضى طردِهم صرَّح بأنَّه لا يفعله[2]، فأفاد العطفُ جمعَ عدم محاسبة المؤمنين على أعمالهم، التي اتُّهموا بها؛ كونها من أرذلِ الأعمال إلى امتناعه ﷺ عن طرد المؤمنين، فجمعَ بين أمرَيْن، أحدهما: تبرَّأَ منه؛ لأنَّه فعلٌ عائدٌ إلى الله تعالى، والآخر امتنع عنه؛ لأنَّهم قد آمنوا، فاستحقّوا الإكرام دون الطَّرد والإهانةِ.

معنى (ما) ودلالتها في جملة: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

تيئيسُ الكافرين من طرد المؤمنين

أفادت (ما) النَّفي، وعندما تأتي (ما) حرف نفي، فتكون حرفًا لا محلَّ له من الإعراب، ولا تُؤثِّر على عمل بقية الكلمات في الجملة، ويقتصر عملها على تغيير المعنى فقط، وهو النَّفي؛ إذ نفت الآية طرْدَ

(1) البقاعيّ، أنوار التّنزيل: 5/ 375.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 162.

هؤلاء المؤمنين، فقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، تيئيسٌ لهم من هذا الرَّأي في احتمال طرد المؤمنين وإبعادهم عن نوح ﷺ، فبيَّن أنَّه لا يمكن أن يفعل ذلك أبدًا، فقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد: (ليس من شأني أن أتَّبع شهواتكم، وأُطيِّب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صحَّ إيمانهم طمعًا في إيمانكم وما عليَّ إلّا أن أُنذركم)[1].

غرضُ استعمالِ ضميرِ المُتكلِّم ﴿أَنَا۠﴾:

صـراحـةُ موقفِ نـــوحٍ ﷺ من قضيَّةِ الإيمانِ

دلَّ ورودُ الضمير المُنفصل ﴿أَنَا۠﴾ على وضوح موقفِ نبيِّ الله نوح ﷺ من قضيَّة الإيمان، فمَن آمن؛ فقد حاز الدَّرجة عند الله، وليس لأحد أن يطرده، أو ينهره عن الإيمان، مدَّعيًا فساد إيمانه، وفيها إشارة إلى التَّمسُّك بأتباع الدّين، هذا فضلًا عن دلالة ضمير (أنا)؛ فنوحٌ ﷺ قد وضع نفسه في مواجهة عتوِّ هؤلاء المُتكبِّرين من قومه.

دلالة الباء في ﴿بِطَارِدِ﴾:

الـتَّـمـسُّـك بـالإيـمـان وبالمؤمنين

الباء في اللفظ: ﴿بِطَارِدِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ باءٌ زائدة للتَّوكيد، دلَّت على العزيمة والإصرار بالتَّمسُّك بالمؤمنين، فدلَّت على تأكيد عدم طرْدِهم من قِبَله ﷺ وفي ذلك إصرارٌ على تأييد المؤمنين وعدم الاستجابة لمقترحات المُعاندين المستكبرين.

دلالةُ التَّعبيرِ باسم الفاعل في ﴿بِطَارِدِ﴾ دون الفعل:

الإصـرارُ على أنَّ نـوحًـا لـن يطرد أتباعه حاضرًا أو مستقبلًا

في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جاء ﴿بِطَارِدِ﴾ اسم الفاعل دون الفعل (أطرد)؛ واسمُ الفاعل هنا يدلُّ على الحال والاستقبال، ودلالة ذلك أنَّه نصب مفعولًا، فدلَّ ذلك على الموقف الثّابت الذي صرَّح به النَّبيُّ نوحٌ ﷺ أنَّه لن يطردَ المؤمنين حاضرًا أو مستقبلًا.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 329.

إيثارُ لفظ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ مُعرَّفًا باللّام:

المؤمنون مَرضيٌّ عنهم عند الله وعند رسوله

قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ فذكر صفةَ الإيمان فيهم؛ ليدلَّ على رضاء نوح ﷺ عنهم وعن إيمانهم، وفيه تأكيدٌ على صحَّة إيمانهم وأنَّ الله تعالى قد رضي عنهم، وذلك على الرَّغم ممّا وُصفوا به من قبل المعارضين بأنَّهم أرذلُ النّاس، وقد دلَّ التَّعريف بـ (أل) هنا على الكمال، كقولك: (هذا الرَّجل)؛ للدَّلالة على الكمال في هذا الوصف، جاء في الكتاب: "إذا قلت: (هذا الرَّجل)؛ فقد يكون أنَّك تعني كمالَهُ"[1]، فيكون ذلك من كمال شأنهم، وعظيم مكانتهم عند سيِّدنا نوح ﷺ.

فائدةُ تقديم المُسند إليه في: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

ليس شأنُهُ شأن مَن يطرد المؤمنين ابتغاء مكسب آخر

قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ جوابٌ عمّا أوهمه كلامُهم من استدعاء طردِهم وتعليق إيمانهم بذلك، حيث جعلوا أتباعَهم مانعًا عنه، وقد نزلوا لذلك منزلةَ مَنْ يدَّعي أنَّه ﷺ مِمَّن يطرد المؤمنين، وأنَّه مِمَّن يشترك معه فيه، فقدَّم المُسنَد إليه؛ لإفادة أنَّ ذلك ليس شأنَهُ، بل شأن المخاطَبين؛ إذ لا ينبغي للرسول أن يطرد مؤمنًا ابتغاء مكسب آخر، فقد حاز المؤمن بإيمانه حصانةً من الله، فيُطرد على ما اتُّهم به زورًا وبُهتانًا، وقيل: إنَّهم طلبوا منه ﷺ طردهم، فأجابهم بذلك، كما طلب رؤساء قريش من رسول الله ﷺ طرد مَن آمن به من الضعفاء، فنزلت: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: 52] الآية[2]، وما أنا بطارد المؤمنين: هذا مُشعرٌ بأنَّهم طلبوا منه ذلك، فأجابهم بذلك[3].

سرُّ فصل جملة ﴿إِنۡ أَنَا۠﴾ عن سابقتها:

وجملة: ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ استئنافٌ في معنى التَّعليل، أي:

(1) سيبويه، الكتاب: 1/ 263.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 177، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 106.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 177.

لأنَّ وصفي يصرفني عن موافقتكم[1]، والمُبين: من (أبان) بمعنى: بَيَّن ووضَّح.

دلالةُ إعادة ضمير المُتكلِّم: ﴿أَنَا﴾:

الالتزامُ بجماعة المؤمنين تأييدًا ونصرًا

في قوله: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، التَّكرار لضمير المتكلِّم ﴿أَنَا﴾ جاء للتَّوكيد؛ ليدلِّل لهم أنَّه نذير للنّاس، وقد حصل - من هؤلاء - الإيمانُ، فتحقَّق الإيجابُ، فلن أطردهم، فيكون فيه تأكيدٌ على التزامه ﷺ معهم على التَّأييد والنُّصرة.

بلاغةُ أسلوبِ القصر: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾:

البعثُ بالرِّسالة لإنذار المُكلَّفين، ولا يتسنّى تعدّي ذلك

القصرُ: تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ بعبارة كلاميَّةٍ تدلُّ عليه، والقصر في قوله: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ إضافيٌّ، وهو قصرُ موصوفٍ على صفة[2]، وهوَ يَقْتَضي انْحِصارَ أَوْصاف الرَّسول ﷺ في النِّذارة والبَيان، وهوَ قَصرُ قَلبٍ، أَيْ: هوَ نَذيرٌ مُبينٌ غيرُ مُحاسِبٍ المؤمنين على أعمالهم، أو طاردًا إيّاهم، فردَّ بذلك عليهم قولَهم[3].

قولُه تعالى: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، حاصلُهُ ﴿أَنَا﴾ مقصورٌ على إنذار المكلَّفين، لا أتعدّاه إلى طردِ الأرذلين منهم، أو ما عليَّ إلّا إنذاركم بالبرهان الواضح، وقد فعلته، وما عليَّ استرضاء بعضِكم بطرد الآخرين، وحاصله أنا مقصورٌ على إنذاركم، لا أتعدّاه إلى استرضائِكم، ويمكن أن يكون مجموعُ الجملتَيْن جوابًا، وإنَّ إيلاءَ الضَّميرِ حرفَ النَّفي يدلُّ على أنَّهم زعموا أنَّه ﷺ موصوف بصفَتَيْن: إحداهما: اتِّباع أهوائهم بطرد المؤمنين لأجل أن يؤمنوا، وثانيتهما: أنَّه نذير مبين، فقصَرَ الحُكم على الثّاني دونَ الأوَّلِ[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 162.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 163.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 195.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 106.

إيثارُ لفظ ﴿نَذِيرٌ﴾ مادةً وصيغةً:

النَّـذيـرُ الـذي أوقـف حيـاتَـهُ لإنذار النّاس من عذاب الله

الإنْذارُ: إخبارٌ فيه تخويفٌ، كما أنَّ التَّبشير إخبارٌ فيه سرور، قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: 14]، وقال: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فُصّلت: 13]، و(النَّذير) هو الرَّسول المبلِّغ، والنَّذيرُ: المنذر، ويقع على كلِّ شيء فيه إنذار، إنسانًا كان أو غيره، المخوِّف والمحذِّر من عذاب الله، ومنه الإنذار: الإبلاغ، ولا يكاد يكون إلّا في التَّخويف، والنَّذير: المُنذر[1]، قال تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [نوح: 2]، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ [الحِجر: 89]، وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف: 9][2]، ودلَّت صيغة (فعيل) على المبالغة والكثرة، فالنَّذير هو الذي يكون عمله إنذارَ النّاسِ من عذاب الله.

سِرُّ وصفِ قولِهِ: ﴿نَذِيرٌ﴾ بـ ﴿مُّبِينٌ﴾:

الـرَّسـولُ بـيَّنَ صِدقَ الرِّسالة، وبـيَّن صِـدقَ الحال

في قوله: ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، المبين من: بانَ واسْتَبانَ وتَبَيَّنَ، فيكون الرَّسول نذيرًا للناس من عذاب الله، مبيِّنًا لهم الحقائق والأوامر والنَّواهي، ويُقال: آية مُبَيَّنَة اعتبارًا بمَنْ بيَّنها، وآية مُبَيِّنَة اعتبارًا بنفسها، والبَيِّنَة: الدَّلالة الواضحة عقليَّةً كانت أو محسوسة، وقال سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: 17]، والبَيان: الكشف عن الشَّيء، وممّا هو بيانٌ بالحال قوله: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزّخرف: 62]، أيْ: هو عدوٌّ بَيِّن في الحال[3]، وكذلك قوله في هذه الآية: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، فالرَّسول واضحٌ بيِّنٌ من حاله، ومن رسالته التي لا ينطق فيها عن الهوى، وفي ذلك البيان حُجَّةٌ كبرى على الذين لا يؤمنون، وسمّي الكلام بيانًا لكشفهِ عن المعنى المقصود إظهارُهُ نحو: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 138].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: 5/ 414.
(2) الرّاغب، المفردات: 797 - 798.
(3) الرّاغب، المفردات، ص: 157.

دلالة المقابلة بين الرّدّين:

حقيقةُ المؤمنين عند الله وعند رسوله

وذلك بين قول نوحٍ عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مع قولهم: ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ۝١١١﴾ [الشعراء: 111]، فكشف نوحٌ عليه السلام عن قناعته بإيمانهم وصِدق إيمانهم، فوصفهم بالمؤمنين، فلمّا اعترضوا عليه قالوا: ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ۝١١١﴾ [الشعراء: 111]، وهي مقابلة اثنَيْن باثنَيْن، فجعل (الطرد) مقابلَ (الاتِّباع)، وجعل ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مقابلَ ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العلم والظنّ:

العلـم يُحقّق المعلومَ، والظَّنُّ ليس كذلك

الظانُّ يجوز أن يكون عنده المظنون خلافًا لما هو ظنّه، ولا يحقِّقه، والعلم يحقِّق المعلوم، وقيل: جاء الظَّنُّ في القرآن بمعنى الشَّكِّ في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾ [البقرة: 78]، والصَّحيح أنَّه على ظاهره[1]، وقوله: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، بمعنى: اهتمامي وانشغالي، فالعلم هنا هو المعرفة الظّاهرة للنّاس، دون البحث عمّا خفي من أسرارهم والكشف عن نياتهم، فهو يبتعدُ عن الظنِّ في تعامُلِه مع المؤمنين؛ لأنَّه غيرُ مكلَّف بالبحث عن خفاياهم، وهذا هو النموذج القويمُ في الدَّعوة إلى الله والتَّعامل مع النّاس، والظَّنُّ يطلقُ على العِلْم والظَّنِّ؛ لِأَنَّهُ جارُهُ، وقَدْ ورَدَ ذَلِكَ كَثيرًا في قَوْله تَعالَى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التّوبة: 118][2].

العمل والفعل:

العمـلُ أخـصُّ من الفعل، فهو إيـجـادُ الأثـرِ في الـشَّيء؛ وليس الفعل كذلك

العملُ إيجادُ الأثر في الشَّيء، يُقال: فلانٌ يعمل الطّينَ خزفًا، ويعمل الخوص زنبيلًا، والأديم سقاءً، ولا يُقال: يفعل ذلك؛ لأنَّ فعل الشَّيء عبارةٌ عمّا وجد في حال كان قبلها مقدورًا، سواء كان عن سببٍ أم لا[3]، والعمل: أخصُّ من الفعل، فهو كلُّ فعل يكون

(1) العسكريّ، الفُروق اللّغوية، ص: 343.
(2) ابن العربي، أحكام القرآن: 4/ 56.
(3) العسكريّ، الفُروق اللّغوية، ص: 134.

من الإنسان بقصدٍ، والعمل يكون في الأعمال الصّالحة والأعمال السَّيّئة[1]، قال تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النّساء: 123]، ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النّساء: 124].

الشعور والعلم:

الشُّعورُ هو ابتداء العلم بالشَّيء

الفرقُ بين العلم والشُّعور: أنَّ الشُّعورَ هو ابتداءُ العلم بالشَّيء من جهة المشاعر، وهي الحواس، فقوله: ﴿لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾ فيه مخاطَبةُ المشاعر ودواخل النَّفس خاصَّةً، على خلاف: (لو تعلمون)؛ فهو خطابٌ للعقل، وقيل: إنَّ الشُّعورَ هو إدراك ما دقَّ للطف الحسِّ، مأخوذ من الشَّعر لدقَّتِه[2]، فلمّا قال نوحٌ: ﴿لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾؛ أراد منهم تفعيل حديث النَّفس، كي تعودَ كلُّ نفسٍ إلى رشدها، ويكون كلٌّ منهم خارجَ قيد العقل الجمعيِّ الذي يحول بينه وبين مشاعره.

الطَّرد والإبعاد:

الطَّردُ يكون بإثم، والإبعادُ قد لا يقتضي إثمًا

(الطَّرد) الإبعاد والتَّنحيةُ، يُقال: (طرده)؛ إذا نحّاه، وأطرده السُّلطان: جعله طريدًا[3]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: 52]، فيكون إبعادُهم عنك بغير إثم اقترفوه، أمّا (البُعْدُ)؛ فيكون على مَعنيَيْن؛ أحدهما: ضدُّ القُربِ، وأَبْعَدَهُ اللّه: نحّاه عن الخير، وباعَدَ اللّه بينهما، وبَعَّدَ، كقوله: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ [سبأ: 19]، فالمباعدةُ: تباعدُ الشَّيء عن الشَّيء، وتأتي بمعنى اللَّعن، قال تعالى: ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥﴾ [هود: 95]، وهذا من قولك: بُعْدًا وسحقًا، وأبعده اللّه، أي: لا يُرثى له ممّا نزل به[4]، فيكون البُعد بفعل إثمٍ اقترفوه، أو ما فعلوه من التَّكبُّر والتَّكذيب.

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 587.
(2) العسكريّ، الفُروق اللّغوية، ص: 373.
(3) المُطرزيّ، المُغرب في ترتيب المعرب، ص: 289.
(4) الخليل، العين: 2/ 48.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»